

معركة الأقصى وحروب كرة القدم



الخميس 2 يونيو 2022 05:03 م

وائل قنديل:

كانت السبت، ليلة الصدام الهائل، بين ليفربول الإنجليزي وريال مدريد الإسباني، فانقسمت الأمة بين ولائين وانتمائين، وانبعثت براكين تقذف حمقًا من مفردات ومفاهيم ضخمة، عن الوطنية، والخيانة، ودار صدامٌ آخر بين الوطنيين جدًّا، والأمةيين للغاية، وبقيت فوهة البركان مشتعلة، في اليوم التالي: يوم القدس والمسجد الأقصى، حيث هجمت قطعان المستعمرين محمولين فوق ألواح التطرف والغل، يحتلون الأقصى ويعربدون في ساحاته، تحت حراسة جيش الاحتلال وشرطته

وطيس معركة ملعب فرنسا، بين الفريقين الإنجليزي والإسباني، كان لا يزال هادئًا وطاغيًا، على الرغم من انتهاء المواجهة وإعلان المنتصر والمهزوم، وفي حين هدأ كل شيء في ليفربول ومدريد، بقي القتال مشتعلًا على جبهة العرب، فيما كان بنيامين نتنياهو يعلن الانتصار في عملية انتهاك المسجد الأقصى

يوم أحد الاقتحام، طعنت الأمة كلها في أعلى وأقدس ما تملك، لكن حرارة الصراع الكروي كانت كافية لتخفيف حدّة الألم من الجرح الأعماق في الجسد العربي منذ العام 1969، فكان الحزن على ضياع اللحم المعلق بقدمي اللاعب محمد صلاح، عند بعضهم، أشدّ من الحزن على نجاح الصهيوني في الانتقام من الناصر صلاح الدين الأيوبي

عبر يوم الأحد، وعبر الصهاينة فوق الكرامة العربية من المحيط إلى الخليج، وبالكاد انتزع الجمهور نفسه من آثار المعركة الكروية في ملعب فرنسا، ووجد لحظات يتذكر فيها القدس والأقصى، ويستشعر جرحه العميق

حتى جاء الاثنين مبكرًا، لتنشطر الأمة كرويًا، مرة أخرى، بين الوداد المغربي والأهلي المصري، لتتوارى القدس، ويهون جرح الأقصى تحت تأثير شلالات أدرينالين كرم القدم المتدفقة في أوصال المواطن العربي، فيصبح لا صوت يعلو فوق صوت معركة أبطال أفريقيا

هنا تستعاد كل ثنائيات الانقسام والانشطار والصراع المحقّل بكلّ انبعاثات التعصّب، والولادات والانتماءات الوطنية، الفارغة من أي مضمون أو قيمة حقيقية، ليصبح انتصار الوداد عند جمهوره أعلى من صعود الأقصى، ويصير انكسار الأهلي عند جمهوره أقسى من عبور مسيرة الأعلام الصهيونية فوق الكرامة القومية

بالكاد، تنقل الصور المتداولة لمدرجات جماهير الملعب علمًا لفلسطين، يطلّ على استحياء وسط زحام الحناجر التي تهتف للفريقين بنجون لم يحضر العلم الفلسطيني بربع حضوره في مناسبات ومواجهات كروية عربية سابقها، لعل آخرها ما شهدته ملاعب الدوحة في بطولة كأس العرب التي أقيمت في نوفمبر الماضي، حيث تنافست الجماهير في رفع أعلام فلسطين في ملاعب البطولة التي كان اسمها قديمًا "كأس فلسطين"، ولم يחדش بهاء اللقطات المنقولة من ملاعب قطر وجمالها سوى هذا الإقحام المقصود لمدرّب صهيوني في أنشطة البطولة، وظهور علم الكيان المحتل على قمصان لاعبين وإعلاميين عرب ابتلعوا تلك الإهانة لفلسطين وللشعور القومي العام، وارتضوا المشاركة في استعراض يقوده المدرب الصهيوني

كاتب هذه السطور ليس ممن يحتقرون كرة القدم، أو ينظرون إليها بوصفها من أسلحة الإلهاء، وقد سجّلت ذلك مرارًا، وقلت إنني، شخصيًا، أحبّ كرة القدم، لعبًا وتشجيعًا وتحليلًا، فهي متعة حقيقية، ونشاط إنساني بديع تلمع من خلاله مهارات وقدرات مدهشة خلقها الله في البشر، ولا أخفي انحيازي لفريق وأندية، محلية ودولية، لكنني لست ممن يجعلون كرة القدم جزءًا من الهوية الوطنية ومعياريًا للانتماء والإخلاص للوطن، ومبدأً لمعارك التعصّب القبلي والعنصرية بين الشعوب، وأحيانًا بين أبناء الشعب الواحد

لكن في المقابل، لا أستطيع أن أخفي فزعي من مستقبل، يتشكّل الآن، تمر فيه مسيرة احتلال المسجد الأقصى، الواقع تحت الاحتلال

أصلًا، فلا تثير في الجمهور العربي من الألم والغضب والحماس والتفاعل نصف ما تثيره مواجهات كرويّة في بطولات عالمية أو قارّية، وكأنّ مقولة المفكر السوري، الراحل الطيب تيزيني: "سحبوا السياسة وكّرّسوا كرة القدم" تتحقّق وتكّرّس وتفرض نفسها واحدًا من أقاليم الانتماء الوطني العزيز

صارت كرة القدم أنجح أشكال الاستثمار السياسي لدى مستبّدين يربطون الوطنية بأقدام اللاعبين ويلعبون برؤوس الجماهير في المستطيل الأخضر، فإذا أفاق الجمهور من خدر الهتاف للكرة، وهتف للحرية والعدل والديمقراطية، قتلوه وأراقوا دمه على حشيش الملاعب، كما جرى مع جمهور الأهلي في بورسعيد 2012، ثم مع جمهور الزمالك في ستاد الدفاع الجوي 2015.

نقلا عن: العربي الجديد